

أسلبة التنوع الثقافي والنماذج البدئية في مجموعة " أعراق " للقاص " عبد الأمير المجر "

أ.م.د. عالية خليل إبراهيم

DR.aliah@uomstansiriyah.edu.iq

كلية التربية ، الجامعة المستنصرية

المستخلص:

يدرس البحث المجموعة القصصية "اعراق" يشير عنوانها مباشرة إلى مصطلح " العرق " أو "الأثولوجيا" العلم الذي اسسه المفكرون الغربيون لدراسة تراث وثقافات وطبائع الشعوب البدائية أو الحضارات القديمة وفي تحليلي القصصي أتلّمس فكرة أن الآثار الاجتماعية والثقافية لا تنعكس في مرآة الاداب ومنها نظرية الحكاية انعكاسا مباشرا وإنما تدخل الأسلبة " مفارقة التشكيل السردية " وسيطا بينهما ما يستلزم تقضيبا رمزيا وجماليات لتلك الآثار وبذلك تكون العلاقة القصص وبين المعنى الثقافي علاقة تراكم تأويلات بين التخصصين.
الكلمات المفتاحية : التنوع الثقافي، الأسلبة ، البدئية، القصة

Stylization of cultural diversity and archetypes in group "races" By the storyteller "Abdul Amir Al-Majjar"

Prof. Dr. Alia Khalil Ibrahim

College of Education / Al-Mustansiriya University

Abstract:

The research studies the short story collection "Races," the title of which refers directly to the term "race" or "ethnology," the science founded by Western thinkers to study the heritage, cultures, and natures of primitive peoples or ancient civilizations. In my narrative analysis, I sense the idea that social and cultural effects are not reflected in the mirror of literature, including the story theory. Directly, stylization enters the "paradox of narrative formation" as a mediator between them, which requires a symbolic and aesthetic appreciation of those effects. Thus, the relationship between stories and cultural meaning is one of accumulation of interpretations between the two specializations.

Keywords: cultural diversity, style, primitiveness, story

توطئة: الدراسات العرقية في مرآة الأسلبة القصصية:

يحيل عنوان المجموعة القارئ مباشرة ومن دون مواربة الى مصطلح العرق العلم الذي اسسه الباحثون الغربيون للبحث في تراث وثقافات الشعوب البدائية من هذه البداية بالإمكان وصف المجموعة بأنها محاولة من القاص "عبد الأمير المجر" في تداول الأفكار الاجتماعية والثقافية والعرقية في حدود جنس القصة ولم تكن قصص المجر السابقة ببعيدة عن تناول الموروث الشعبي المادي منه والفكري وجاءت معبرة عن معاناة انسان الجنوب في منتصف القرن العشرين وما سبقه وتلاه والذي يزرع تحت وطأة الأنساق الثقافية البدائية ذلك ما جعل نتاج المجر تفاعليا مع الدراسات الأنثروبولوجية. وإذ نتأمل العلاقة بين نظرية القصة أو الخطاب الأدبي بشكل عام وبين علم الأناسة وفروعه المختلفة لا أجد ذلك البون الشاسع في الوسائل والاجراءات يصرح " ليفي شتراوس " كبير علماء الأنثروبولوجيا العرقية " إن الانسان حيوان عالق في شبكات رمزية نسجها بنفسه حول نفسه وبالتالي أنا أنظر إلى الثقافة على أنها هذه الشبكات " (غيرتر، 2009).

ذكر "كافوليس" إن شكل الفن "ييسر تطور العلاقة الانفعالية لدى البشر تجاه البيئة الاجتماعية عن طريق خلق بؤر رمزية للتكامل الثقافي الاجتماعي" (فوج، 2005) لا تنعكس الرموز الثقافية والاجتماعية مباشرة وبشكل محدد في تعبيرات الفن، تصوغ الثقافة تنظيم الشخصية وبنائها المعرفي الذي يستلزم تقضيبا جماليا للأشكال وللأساليب المتسقة نفسيا مع البناء القيمي للشخصية ما يمنح الادب بشكل عام والقصة على وجه الخصوص شكلا تعبيريا رامزا للبيئة الاجتماعية، ثمة دراسات عرقية اقتفت اثر المنهج البنوي السيميائي مثلما فعل "شتراوس" الذي حدد عمل عالم الاعراق بأنه يصف الأنماط السطحية للسلوك والمعتقدات ثم اعادة تكوين البنى العميقة التي تبنى منها تلك الانماط تدرج بعدها تلك البنى داخل مخطط تحليلي يشبه جداول العناصر الكيميائية (غيرتر،

(2009)، ذهبت دراسات أخرى نحو ظاهراتية القراءة التأويلية مثلما فعل "غيرتز" الذي أكد أن الدراسات العرقية ما هي إلا تأويل من الدرجة الثانية أو الثالثة لمحتوى ثقافات الشعوب.

أما التأويل من الدرجة الأولى فينفرد به ابن الثقافة الأصلية ذاتها وأغلب التأويلات ما هي قصص متخيلة (غيرتز، 2009)، نستشف مما ورد ذكره أن دراسة الأعراق تتداخل مع فضاءات القصص فالباحث في القضايا الاثنية والقاص كليهما بحاجة للتمثيل والترميز لوصف طبائع الشعوب لإبلاغ رسالتهما لكنهما يفترقان في الغاية والهدف" ذلك أن القصص تتمتع بوجود ذاتي مستقل عن عالم المعرفة فهي تفرض شكلها الخاص في الاتصال وهي تصوغ الدور الضمني للقارئ.

عد مجموعة "عراق" تأويلاً من الدرجة الأولى للثقافة العراقية مثلما وصف "غيرتز" قدرة أبناء البيئة على تأويل ثقافتهم ولجنس القصص بيئته الخاصة هو الآخر وحين يلعب الشكل مقابل المضمون مباراة حاسمة في مواجهة بعضهما " تمثيل الطبيعة بطريقة فردية تعبر عن مزاج الفنان أكثر ما تعبر عن مثال أعلى في الفن " (سونتاغ، 2008)، تحقق الاسلبة فكرة التغريب بين الحكاية بوصفها قيمة فنية وبين المعنى بوصفه اثراً للتلقي .

أولاً: التمثيل القصصي للطفرة الجينية والانتخاب الثقافي

تروي القصة الافتتاحية وعنوانها "ولادات غريبة" حكاية طفرة جينية حصلت للمواليد في مطلع القرن الواحد والعشرين لبلدة لم يذكر القاص مكانها على الخارطة كما في أغلب القصص التي احتقن فيها بأزمدة العولمة التقنية والمعلوماتية وتغاضى عن ذكر اسم البلد أو المدينة وفي ذلك أول مخالفة صريحة بين القصة وبين الدراسات العرقية التي تركز اهتمامها على المكان والجغرافيا ثم يلحقهما الاهتمام بالتاريخ والزمن، لكنَّ القرائن الدلالية سرعان ما تكشف إن المكان المومأ إليه هو العراق أريافه وهوامشه تحديداً.

حدثت القصة في بلدة تقاوم فيها العقم بسبب ضعف الرجال الجنسي وعدم وجود علاج طبي شاف لهذه الحالة أخذن المتزوجات باللجوء إلى طب العرافين للظفر بالحمل وتجاوز حالة العقم الذي، بالرغم من ايمان الشخصية الريفية بالرب الواحد الأحد الذي يضع المقادير لكل شيء ومنها أنه يقر في الأرحام ما يشاء من ذكور أو أناث ويجعل من يشاء من الأزواج عقيماً بارادته إلا أن الانساق في وعي البدائي تتجاوز ولا تتقاطع فالشخصية الريفية تؤمن بالله بذات الطريقة التي تعتقد فيها بالسر والتنجيم وقراءة الطالع وقد أشار علماء الاجتماع أن الايمان بالسر لا يتقاطع مع التدين فالسر بوصفه عاطفة تجاه استبصار المجهول وقوة تأثير في الآخر كان قد سبق الدين بحسب "فريزر" ثم رافقه بعد ظهور الأديان التوحيدية منها والتعددية وتعايشاً معاً (طومسون، 2022). يؤسلب السارد في ملفوظ ساخر تضامن انساق الدين والسر وعبادة الاسلاف في وعي الشخصية الريفية وأثر ذلك التضامن في الركود الفكري والحضاري الذي تعانيه الامة العراقية. ينتشر في المجتمعات الريفية الفلاحية علاج عقم الرجال والنساء من قبل العرافين يفعلون ذلك بوساطة سقاية ماء منقوع بآيات أو تعاويذ أو رقى أو بقايا عظام أو شعر أو اظافر انسان أو حيوان يطلق العراقيون على ذلك الاستشفاء "دوة الحبل" وهنالك العديد من القصص الشعبي المتوارث عن العرافين والعرافات وعلاجهن للعقم. الشيخ العراف شخصية محورية في هذه القصة وبالمجموعة بشكل عام ليست هي بالشخصية الواحدة وإنما تتعدد بتعدد المكانة الاجتماعية والوظيفة التي يضطلع بها الشيوخ وقد يكون هذا الاختلاف تعدد اقنعة لرمز بدئي ثاو في لاوعي القاص. يشترك الدين والسر في اضفائهما طابع القداسة لكل من التاريخ والتراث تمثل شخصيات وأدوار الشيوخ بداية من الشيخ العراف أو الساحر إلى الشيوخ الرضع إلى الشيخ الذي يتلبسه الشيطان نمط التفكير البدائي الذي يقصد السلف الصالح ويرفض سنة التطور.

ينجح الشيخ العراف في خلط اعشاب لمعالجة الضعف الجنسي عند الرجال لكنَّ الولادات الجديدة اثمرت عن طفرة خطيرة " امرأة تلد شيخاً بحجم طفل وبلحية بيضاء وأسنان كاملة، ولم يصرخ عند خروجه من بطن أمه كعادة كل وليد بل أطلق ضحكة خفيفة أصابت الطبية والمرضات بالفرح" (المجر، 2021)، القارئ بازاء تصوير كاريكاتوري لشيوخ في لقطات أو مشاهد مختلفة ساخرة وصادمة في الوقت ذاته، شيخ يسقي النساء دوة الحبل، طفل رضيع على هيئة شيخ، شيوخ اقزام يعطلون حركة السير والمرو ويقروئون الايات والتعاويذ، بقرة تلد شيخاً طاعناً في السن، أصف البناء بأنه مونتاج معاصر لقصة شعبية تراثية بصوت قاص يسردها لنا على سبيل التسلية والترويح والاضحاك، لا تخلو التسلية من موعظة وعبرة للقارئ وهو يتأمل هذا الخليط من القصص الشعبي والفانتازيا فيما يتحرك مؤشر الدلالة على حواف المفاهيم العلمية جاءت الطفرة الوراثية التي أحدثها الشيوخ نقيض ما جاء به "داروين" في نظرية

أصل الأنواع " تنطوي عبارة داروين الانتخاب الطبيعي على نزعة حتمية ان ما كان طبيعيا هو أيضا ما كان نافعا ومرغوبا ،يذهب الداروينيون الاجتماعيون في نظرهم إلى العالم إلى إن البشر والعالم كانوا جزءا من الطبيعة" (فوج، 2005) بالصد من النظرية التي تؤمن أن الطبيعة تأخذ الإنسانية نحو البقاء للأصلح يأخذ علاج العرافين البلدة وناسها نحو المسخية وما تنثيه من رعب ودهشة في " شباب بلحي قصيرة وملابس موحدة يتوسط كل مجموعة منهم واحد من الشيوخ الاطفال يحمونه ويحتمون به، إذ كان يردد بينهم الآيات والتعاويذ وهم يرددون وراءه" (المجر، 2021). قد نكون أمام محاكاة تهكمية لأسطورة يأجوج ومأجوج هؤلاء الذين سيهدمون سدود الفضاء الفاصل بين فساد المدن وصلاحها ويسعون في فناء البشر؟ يبرز القاص شخصيته فهو من الأرياف وقد سمع كثيرا من قصص من هذا القبيل" رددت أمي جنبنا الله شر الشيطان وأفعاله، ومن ذلك الحديث الذي سمعته من أمي وأنا صغير صرت أرى الشيطان بصورة رجل عجوز عار وملتح" يستشف من المقطع الانف إن صورة الشيخ الملح التي ظلت ثابته في وعي القاص منذ الطفولة وحتى الكهولة هي المهيمنة الدلالية في القصة.

سأحاول تأويل حكاية الشيوخ السحرة في ضوء نظرية النماذج البدئية أو الأصلية لعالم النفس " كارل يونغ:" النماذج الأصلية صور ورموز متوارثة عن مراحل تطورية سابقة في تاريخ البشرية وتمثل ميلا غريزيا لصوغ تمثيلات للدوافع اللاشعورية والتي تتغير وتتباين دون أن تفقد نمطها الرئيسي (فوج، 2005)، تشكل الغرائز ممثلة لترسبات النفس القائمة بدور كافة السلالات المتوارثة والخبرات المتراكمة للحياة العضوية اضافة للنماذج الأصل اللاشعور الجمعي والذي يختلف عن اللاشعور الشخصي عند "فرويد" والذي يتلخص في طاقة الليبيد الجنسية بينما اللاشعور الجمعي تمثيل رمزي ثقافي (مكاريك، 2014)، بمعنى أن وظيفته أسطورية وأدبية أبعد وأعمق من كونها نفسية.

شخصية الشيخ هي النموذج الأصلي الكامن في وعي الثقافة المؤسسة للقومية والعرق العراقيين سواء أكان الشيخ سلفا صالحا أو مهرجا مشعوذا أو شيطانا قد تختلف من شخصية لأخرى في المكانة والدور والوظيفة المناطة بها لكنها بالمحصلة تمثل الزمن الديني المقدس الدائري الذي ينتهي من حيث يبدأ والعكس صحيح ،تستوعب قصص المجموعة النموذج البدئي بوصفه طاقة تخيل سردي وأسئلة شكلية تنوعت من الدستوبيا في تصوير خراب القرية إلى الغرابة والفانتازيا في تصوير المخلوقات المشوهة وأفعالها ومن ثم إلى اليوتوبيا في نهاية القصة.

أعاق الاختلال الجيني والولادات المشوهة تقدم البلاد فقد تعطلت المواصلات والمؤسسات والمدارس والجامعات وانهارت البنايات وحل الجذب والقحط والفاقة وعادت الحياة بدائية وفقيرة فكيف جاءت النهاية " حاول الشيخ أن يمد يده للشباب كي يصافحه لكن الشاب عاجله بعبارة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم..أطلق الشيخ صرخة شقت سماء المدينة وأثارت الرعب في النفوس ثم صار يرتجف ويتمرغ على الأرض كالذبيح" (المجر، 2021) ينهي الشاب صحيح البنيان خرافة الشيوخ الأقزام الذين أثاروا الهلع في قلوب الشعب والضوضاء في الشوارع وحولوا سلام القرى الآمنة الى قبح وخراب لكن ماذا قال الشاب" أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" لا يختلف وعي الشاب عن ابناء بيئته فهو قرينهم مع اختلاف الزمن يؤمن بأن الآيات والتعاويذ تغير واقع الحال ؟!! لم ينهض الشاب بفعل ملموس ومؤثر للانعتاق من خرافة المشعوذين وعندها يبقى الوعي بدائيا مرتبنا للأسلاف بمن فيهم وعي الشباب الكتاب المستمعون والقراء .

في قصة "صرائر" يتعرض سكان بلدة لم يشرب القاص لاسمها لطفرة جينية ارتدادية أسوأ من تلك التي قرأناها في قصة " ولادات غريبة" تمثلت تلك الطفرة بأنبات ذبول في مؤخرات بعض السكان نساء ورجالا خاصة أولئك الذين تجاوزوا منتصف العمر ولم يكن هنالك توسط لسحر المشعوذين في حدوث الاختلال الجيني وإنما وقع بسبب سياسات دول المركز وهيمنتها على قرار دول الاطراف ودفع انظمة وشعوب تلك الدول للاقتتال فيما بينها مما تسبب بطفرات جينية غير متوقعة.

تقع تبعات الحروب على من بلغوا منتصف العمر ولم يعد جهازهم العصبي وتركيبهم الجسمية الفسيولوجية قادرة على تحمل الضغوط النفسية المستمرة فصلت لديهم طفرة نحو الخلف اذ ارتد بعضهم الى المرحلة البهيمية فأضحت هيئتهم اشبه بالكائنات الغريبة في الأساطير القديمة أو في افلام الخيال العلمي والرسوم المتحركة في السينما الاميركية المعاصرة" ذبول برؤوس متفاوتة الحجم بعضها ما زال مدبها وبعضها الآخر بات أكبر وبألوان مختلفة أسمر، حنطي، أسود حسب لون صاحبه لكنها متشابهة بالشكل" (المجر، 2021)جذب نظام الأسلبة القارئ من اقصى الأسلوب الواقعي ممثلا بالكلام عن تبعات الحروب النفسية والاجتماعية إلى تخوم الفانتازيا حيث الاشتغال على مونتاج صورة كرافيك لذلك المخلوق الغريب الذي خلفته عقود من الحروب والنزاعات لا وجود

لحبكة قصصية أو أحداث ما عدا حكاية الذبول التي امت ببلدة عاشت عقوداً من الحروب المتواصلة وقد نبت للقاص ذيل في ختام القصة عندما بلغ منتصف العمر. هل خلت قصة "صرائر" من شيخ؟ لم تخل وبالإمكان العودة إلى النماذج البدئية في تأويل القصة مرة أخرى، رأى شيخ وقور في منامه "اعداداً من الراديو والتلفزيونات تحلق في الفضاء قادمة من اتجاهات مختلفة ترتفع كالطيور السود الكبيرة ثم تصطدم ببعضها فتتأثر مع احشائها أشلاء بشرية تتساقط على الأرض ومن ثم تشتبك الأشلاء مع بعضها فتتشكل منها كائنات غريبة تطلق أصواتاً مرعبة" (المجر، 2021).

نقرأ سردية الحلم في أغلب قصص المجموعة فعندما لا يتمكن القاص من ادماج عنصر سردي أو دلالي في خيوط الحكاية يستثمر المنامة في الإشارة إليهما، ولا ننسى أن "يونغ" قد استفاض في دراسة الأحلام في كتابه (الإنسان ورموزه) وعدها مجازاً بلاغياً للنفس البشرية في تمثيلها اللاوعي الفردي والجمعي في صور ورموز (يونغ، د.ت). تومى سردية الحلم إلى التهكم من مقولة البقاء للأصلح وإنما البقاء للأشنع والأبشع والأقوى في ظل التطور التقني والسراني فقد اضحت المقتنيات التكنولوجية الحضارية مثل الراديو والتلفزيونات والانترنت لاحقاً وبالأعلى على شعوب الأطراف ومنها بلدان الشرق الأوسط.

طرح العديد من الباحثين الاجتماعيين أفكاراً عن علاقة الانتخاب الطبيعي بالانتخاب الثقافي تحدثت عن عالم النفس الاجتماعي "وليم ماكندوجال" عن الانتخاب بين السكان على أساس الدين والقوة العسكرية أو المنافسة الاقتصادية وذهب إلى أن هذه الخصائص تركز على استعدادات طبيعية في الأعراق المختلفة: (فوج، 2005) نحت القصة في اتجاه أن الحروب تسهم في الانتخاب الطبيعي والثقافي للشعوب تتطور الأعراق المنتصرة بينما تتراجع الأمم المغلوبة على أمرها نحو البهيمية.

رفض الأنثروبولوجيون المحدثون وجود انتخاب ثقافي قائم على أساس طبيعي بمعنى تفوق أعراق على أخرى بفعل الحروب والمنافسة الاقتصادية ذهب "تشايلد" إلى أن التطور الثقافي سار في نفس اتجاه التطور البيولوجي واضحى بديلاً عنه فقد أصبح تطور جنس البشر معتمداً كلية على التراكم الثقافي وقد اكتملت صورة الإنسان الجينية واعتدلت ذلك ما يخص الدراسات العرقية أما نظام الأسلبة القصصية بإمكانه طرح العلاقة بين السياسي والثقافي وبين الجيني مرة أخرى بما تحمله من اضحاك أو كوميديا سوداء من تردي وضع الشعوب في عصر الهيمنة السبرانية وحروب التكنولوجيا" عرفت أن ذبول العابرين التي صارت تصطدم أو تلتف ببعضها فيتساقط أصحابها بعضهم على البعض الآخر وتتدخل مشاجرات يتوقف بسببها السير وبفعل كثرة الذبول والرؤوس الكبيرة المشتبكة يتحول المكان إلى تل بشري يضرب بعضه بعضاً" (المجر، 2021)، يعبر المشهد الكاريكاتوري المضحك الوارد عن حجم الدمار النفسي الذي تخلفه الحروب وتراجع ثقافة مجتمعات الصراع والأزمات من خلال التصوير الاستعاري للهموم بكونها ذيولاً تنقل الكاهل وبعد لماذا كان الحلم السابق للشيخ الذي لم يكن له دور في القصة فقد ظهر في مشهد الحلم فقط لماذا لم يحلم القاص كما إبان عن ذاته في قصة "ولادات غريبة"؟ جواب السؤال نجده مجدداً في النموذج البدئي بوصفها ادراكاً وذاكرة جمعية للعراقيين مرتبطة بكل ماهو ماضٍ مقدس وناطقة للتطور فقد كان القاص في اللاوعي منجذباً نحو رمزية الشيخ اللابث في نقطة البدء غير القابلة للتقدم وبعكس الشيوخ الأقزام في قصة "ولادات غريبة" فإن القاص في هذه القصة لا يتخيل وإنما يتماهى مع الشيخ الذي يرى كواييسا عن عالم الإعلام والميديا تلك التي تزج البشرية وتهدد أمنها بدلاً من أن تمنحها طوق نجاة أو أملاً في الغد، أما في الوعي القصصي فقد قارب القاص موضوع الطفرة الجينية من منظور السياسة الدولية لقوى الهيمنة العالمية وما فرضته من حروب وحشية على الشعوب.

ثانياً: رومانسية التراث العراقي في قصة "عباءة بلاسخت":

تعيد قصة "عباءة بلاسخت" حكاية علاقة الشرق بالغرب أو الأنا والآخر من منظور آخر يختلف عن القصتين السابقتين، أصفه بأنه منظور فلكلوري رومانسي، تقدم سيرة متخيلة لحياة السيدة "جين بلاسخت" ممثلة الأمم المتحدة في العراق في العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين ولما نزل تمار مهام وظيفتها 2024 يتبين من صوت السارد الرجل أنه عراقي معجب بهذه السيدة ويريد تقديم سيرة متخيلة لبعض من محطات حياتها في بلدها هولندا وأثناء مهمتها الأممية، تستعيد السيرة صورة سردية راسخة في ذاكرة ومخيلة الشخصية الغربية عن أساطير بلدان الشرق ومنها أسطورة الحريم أو الستر التي تقدم صورة فانتازية عن النساء وهن يتمرغن في الدعة والكسل والدلال يشبهن اللؤلؤ المكنون الذي لا يراه سوى الصياد في الستر والحجاب ولا ينقص الحريم الذكاء والمكر والكيد استوطنت تلك الصورة التي قدمتها قصص ألف ليلة وليلة ووعي "جين" المرأة الغربية العصرية وأرادت أن تتماهى مع تلك الصورة أثناء عملها في بغداد فهي الأوروبية التي تغزو الشرق برداء الدبلوماسية ولتتصب بقرار من المنظمة الدولية رئيسة شرفية للبلد الشرق أوسط الضارب

في القدم وقبلها كانت "المس بيل" في بداية القرن العشرين الأنسة التي مهدت لحقبة الاستقلال واختيار نظام الحكم ، تلك مفارقة تتكرر في تاريخ العراق الحديث حيث تحضر امرأة شقراء من عرق آخر توجه مسار نظام الحكم في بلد البشرة السمراء والتقاليد الأبوية الصارمة !.

ما الذي ارادت "بلاسخارت" تحقيقه في العراق واي الأدوار قد لعبتها في زعزعة أو تثبيت نظام الحكم فيه؟ لم تتناول القصة الجانب السياسي من عمل مبعوثة الأمم المتحدة وركزت على الجانب الانساني من شخصيتها وهواجسها وذكرياتها بعد أن مضى بها قطار العمر وبلغت سن الثمانين. تجري أحداث القصة في المستقبل سنة 2060 في العاصمة الهولندية امستردام موطن "جنين" والذي عادت إليه بعد مهمة سياسية شاقة أوكلتها إليها الأمم المتحدة في تقريب وجهات النظر بين الفرقاء السياسيين في الأزمات المتفاقمة التي يعيشها العراق داخليا وخارجيا.

رجعت الشقراء الخمسينية إلى بلدها تصطحب قصصا وذكريات من ذلك البلد الشرق أوسطي ومن تلك الذكريات أو المقتنيات الحميمية العباءة العراقية الشعبية التي كانت ترتديها عند لقائها بالمرجع الشيعي الأعلى في النجف ، تحب "بلاسخارت" تلك العباءة فهي تمثل على مستوى وعيها الشعور بالاندماج بأبناء ذلك البلد واحترامها لتقاليده واعرافه أما في اللاوعي فهي تمثل حنينها إلى روح الشرق وتقاليد "حين خرجت من المقابلة كانت ترتدي العباءة ،وبعد اللقاء انتشرت الصورة في مختلف وسائل الاعلام العراقية والعالمية فكانت مناسبة للطرفاء العراقيين ممن استغلوا تلك الصورة وعالجوها فنيا لتصبح أغنية عراقية شهيرة .. يم العباية حلوة عباتج" (المجر ،، 2021)، شاهد العراقيون السيدة على شاشات التلفزة وهي ترتدي العباءة الشعبية وتتجول في اسواق النجف وأزقتها أحباها الشعب لتصرفها هذا وعدوها واحدة منهم. ثمة شيخ في سيرة " بلاسخرت" هو المرجع الديني الذي قابلته " جنين" مرات عدة للباحث في شؤون السياسة وفي تردد "جنين" الدائم على بيته المتواضع في النجف دلالة سياسية وأخرى عاطفية فقد رأت فيه الشيخ الوقور والحكمة البالغة والتواضع رأت في الشيخ صورة الأب وهي ابنة حضارة قدس الفرد وتنذب السلطات باشكالها. تنقسم أحداث القصة (السيرة) بين ما آلت إليه العباءة بعد وفاة "جنين" وفي مشاهد أخرى يرصد القاص تأملاتها وهي عجوز وقد بلغت الثمانين من عمرها وبعضا من ذكرياتها عندما كانت صبيرة حسناء برفقة والدتها.

بعد وفاة جنين بفترة وجيزة، نشاهد العباءة في بيت صديقتها المقربة "سارة" والأحفاد يرون العباءة الشعبية العراقية مادة للتسلية وتسجية لأوقات الفراغ " ترتديها مارغريت وتلف جسدها وسط ضحكات أبناء عمها واصدقائها ممن يحضرون من أجل التمتع بلبس العباءة والنقاط الصور بها" (المجر ،، 2021) صورة المرأة الشرقية في جلبابها الأسود صورة نمطية عن المرأة المحرمة مفاتها إلا على زوجها وبعض اقربائها، المرأة المعزولة عن الفضاء العام والمشاركة السياسية صورة تداعب خيال المرأة والرجل الغربيين وترغب أحيانا في تمثيلها أو تقمصها لما فيها من دهشة واختلاف عن واقع حياة المرأة الغربية منكشفة الستر .

تتأمل "بلاسخارت" حياتها وماضيها بعد تقاعدها عن العمل مثل شريط سينمائي وترنو في تلك الأثناء إلى خزانة ملابسها التي تحتفظ فيها بالعباءة التي تحرص على العناية بها تريها لأصدقائها وصديقاتها المقربين ثم تعيدها للخزانة. تتذكر حلما كان يرأودها أثناء عملها بعد عمل يوم مجهد واجتماعات مع الفرقاء السياسيين " وجدت نفسها أشبه بطائر كبير يسبح في الفضاء وراحت تحلق بين الغمام الأبيض بعباءتها التي كان بيضاء وواسعة كثيرا فكانت بمثابة جناحين عملاقين يحملانها للأعلى" (المجر ،، 2021) هل تطير العباءة بالمرأة العراقية أم تقيدها وتجعل صورتها من بعيد وكأنها دابة سوداء؟ السيدة "بلاسخارت" ليست عراقية فهي لا ترتدي العباءة مكرهه من قبل العرف والتقاليد الاجتماعية وإنما تلبسها طقسا تراثيا تعيش تفاصيله مع ابناء الوطن الأصليين لذلك تشعر بالبطران حين ترتديها، يتضح من الحلم أن لاوعي جنين يمثل الشرق نموذجا للأبوية أو الروحانية وعلاقات القربى الوثيقة فيه ولصفاء ذهن الانثى الشرقية وبساطتها من تلك الأعباء والهواجس التي تعيشها المرأة الغربية بخاصة العاملة في مجال السياسة الخارجية.

انشأت بلدية امستردام متحفا لأشياء ومقتنيات الشخصيات البارزة من أبناء المدينة ومن ضمن تلك الشخصيات " جنين" ولم تتردد "سارة" بعد وفاة صديقتها في التوجه كل يوم ثلاثاء لعرض العباءة لأوسع جمهور من رواد المتحف من ابناء المدينة والسياح ليشترك الأوروبيون نساء ورجالا في لحظة الحنين والاستغراق في تمثل حضارة الشرق وأساطيره وتقاليد تلك اللحظات التي عاشتها صاحبة السيرة سنوات مكلفة بالجهد الدبلوماسي والود للعراق وابنائها .

لا احسب أن سياسيا عربيا أو عالميا رجلا كان أو امرأة سوف يحظى بهذه السيرة الرومانسية بما فيها من شاعرية الأسلوب وإيجابية الأحداث والشخصيات فلكلورية الوصف السردي للفضاء بين هولندا والعراق مثل ما كتبه " عبد الأمير المجر " عن ممثلة الأمم المتحدة في العراق التي لا اشك أنه لم يعرفها على المستوى الشخصي أو الدبلوماسي وإنما طار بعباءة حلمه أو خياله نحو الكتابة عنها.

رابعاً: يوتوبيا " الأرض الخضراء " في قصة " اعراق "

تأخذنا قصة " اعراق " وجهة أخرى مختلفة عن القصص السابقة تحاول الكشف عن حقيقة الأعراق وصراع القوميات في الشرق والعالم، ينتهج البناء السردي أسلوب الصحافة الاستقصائية في بحثها عن المعلومات والوثائق، تكلف إحدى الصحف صحفياً ومصوراً بمهمة اعداد تقارير خبرية عن دولة يطلق عليها "الأرض الخضراء" لها عمقها التاريخي والحضاري وحاضرها أجمل من ماضيها هي بلدة آمنة ومستقرة متطورة تكنولوجيا واثروبولوجيا حيث جودة التعليم والاهتمام بالثقافة والرياضة والصروح العامرة والسياحة والآثار .

يبدأ الصحفي بالكشف عن تاريخ نشوء المدينة والاعراق التي استوطنتها والديانة التي يعتنقونها نقلاً عن مراجع وأطاريح جامعية " قافلة كبيرة مرت في أحد الأعوام بضمنها رجل فاضل كان من دعاة ديانة تمازج بين التوحيد وتعاليم أرضية وقبل أن تنتهي الصحراء أو على طرفها الأخير وتحديدًا قرب واحة صغيرة حصلت معركة كبيرة بين قطاع الطرق وأصحاب القافلة وحمايتها لم تنته فقط بانتصار أصحاب القافلة بل سيطروا أيضاً على ما بحوزة الطرق من منهوبات كبيرة استولوا عليها من قوافل أخرى وأن الرجل الفاضل قاد المواجهة وكان السبب الرئيسي في الانتصار " (المجر، 2021)، تقع هذه المدينة وسط صحراء شاسعة يطلق عليها " الذلول " وهناك قافلة تجارية وفيها شيخ يعتنق ديانة تمازج بين التوحيد وتعاليم أرضية، عندما أقرأ هذه التفاصيل ينصرف الذهن مباشرة نحو تاريخ الجزيرة العربية وحركة القوافل التجارية التي تخترقها وصولاً الأراضي المجاورة لها والأصقاع البعيدة، حضور الرجل الوقور وحادثة الاعتداء على القافلة تعيدنا إلى قافلة قريش التي اعترض طريقها المسلمون وحدثت عند ذلك المكان معركة " بدر الكبرى " التي أدت بانتصار المسلمين على عبدة الأوثان ونهوض الحضارة الإسلامية وسيادتها على الأمم المجاورة ، القارئ بازاء قراءة جديدة للمنطقة العربية وأعرافها وديانته قراءة تمزج بين وقائع التاريخ ويوتوبيا "الواحة الخضراء" التي تسكن خيال القاص فيتمثلها بلداً مستقرة لا تتأخر داخل حدودها بين الفراق ولا صراعات عرقية بين مواطنيها لكونهم خليط من الدماء المتباينة التقوا في بقعة محددة وأرادوا العيش المشترك والمضي قدماً نحو المستقبل ونبذ صراعات الماضي، قاوم أبناء الواحة قسوة الجغرافيا وصمدوا أمام الأمم الغازية ولم يتأخروا فيما بينهم لذلك ربحوا معركة الانتخاب الثقافي وشيدوا اسطورتهم الخاصة بهم " لغتنا القومية دليل على أننا أمة واحدة وإن جدنا الأكبر أمير الرياح والضياء أوقف أكثر من عشرين غزوة للأعداء حين حاربهم في واقعة المرة والحمراء والسنبلة " (المجر، 2021) يرجع القاص للتأكيد على العنف ودوره في بقاء اعراق وانذار أخرى ، ذلك ما تحاول الحضارة الغربية حالياً ممثلة بزعيماتها أمريكا التي تبقي العالم فيما حولها في حالة حروب متواصلة من أجل تسود العالم وتشتأثر لوحدها بالتطور والتحكم في زمام المستقبل . ومن الركائز المهمة التي تنهض على أساسها الأمم والقوميات هي التاريخ والأرض المشتركة يؤكد القاص على أهمية اللغة وأثرها في نشوء حضارات وزوال أخرى فاللغة لا تقل دوراً عن البيئة في نشوء العرق تجمع اللغة الوعي والذاكرة والتمثيل ضمن فضاء الخطاب الذي يضمن حواراً مفتوحاً لإبناء التاريخ المشترك، الاعراق قصة تروى عبر الزمن ولا حكاية من دون ابجدية.

يشير الصحفي إلى سحنة أبناء الواحة الخضراء " وجوه سمر بعيون زرق أو خضر وجوه بيض بشعر مجعد كشعر الزنوج ..طوال القائمة بسحنات تتداخل بين الاسمر والحنطي. قصار القائمة مع تركيبة وجوه تحيلك إلى الجنس الاسيوي الأصفر " (المجر، 2021) ينتصر القاص للقومية على حساب العرق فيؤكد أن الاعراق تتداخل مع بعضها وتلتبس في لون البشرة والعيون والشعر ومتانة الاجساد وفي الطبائع والسلوكيات بينما القومية هي من تمنح العرق وحدة وانسجاماً من خلال اللغة أولاً ثم التراث المرئي والمسموع ثانياً فالانتخاب الثقافي له الأولوية أما الجينات والحمض النووي فهي مسألة ثانوية في نشوء القوميات والدول الناهضة وكذلك هم سكان " الأرض الخضراء .

تخالف وجهة النظر هذه آخر ما توصل اليه علماء الحمض النووي والانساب الجيني الذين تمكنوا من دراسة الطفرات الوراثية ضمن تسلسل الزمن الممتد إلى الاسلاف المشتركين للسكان القدامى وإلى القبائل والشعوب تأخذ دراسة السلاسل بنظر الاعتبار المواقع الجغرافية للسكان من خلال الحفريات الاثرية مع الحمض النووي (كليوسف، د.ت) ، وقد توصل العلماء الى نتائج ملموسة في

الكشف عن أصل وشكل الجد الأكبر للسلاسل العرقية حول العالم، ومن باب الاستطراد المفيد يذكر من النتائج التي توصل إليها علماء الحمض النووي أن الشعوب السامية ومن ضمنهم العرب واليهود النسبة الأكبر لسلاسلهم تنتشر في جنوب العراق تصل النسبة إلى 81% هنالك حيث تقع مدينة أور القديمة التي ولد فيها الجد الأكبر للسلالة السامية النبي إبراهيم الخليل (كليسوف، د.ت) نأت قصة "عراق" عن النظرية العرقية ومن ضمنها كشوفات الحمض النووي وعلم السلاسل الجيني نحو بناء المتخيل أو تشييد يوتوبيا الأرض الخضراء يتضح ذلك من تركيز القاص على اللغة والديانة السمحاء والآثار والمتاحف لكي يتوازن القياس الرمزي والفكري للمجموعة التي بدأت بالقبح والتشوهات (الدوستوبيا) في قصتي "ولادات غريبة" و "صرائر" لترجع إلى الأمل بمستقبل أفضل لهذه البقعة من الأرض والعراق التي تستوطنها.

لم يصرح القاص إذا كان الجد الأكبر للقوم والذي يطلقون عليه امير الريح والضياء هو ذاته الشيخ صاحب القافلة الذي ذكر في بداية التقرير الصحفي عن نشوء الدولة أم انهما رجلان؟ أما الشيخ الثالث فهو العالم اللغوي الذي حاوره الصحفي اثناء زيارة المدينة سواء أكان في القصة شيخان أو ثلاثة فإن شخصيات الشيوخ ليست واقعية أو مرجعية وإنما هي شخصيات واصله أو تكرارية تمثل اثرا للشخصية " سنن ثقافي عام يتم داخله خلق عالم تخييلي يشابه العالم الواقعي يطلق عليها الشخصيات الناطقة باسم المؤلف مثل الانبياء والاولياء والشعراء والفنانين (بنكراد، 2003)، يجثم النموذج الأصل ثقيلًا على خارطة الخطاب وإن احتفل البعد التداولي للقصة برسم صورة أجمل للمستقبل .

خاتمة ونتائج:

- 1- تعد مجموعة أعراق تأويلا من الدرجة الأولى للموروث والثقافة العراقيين كما وصف المفكر " كليفورد غيرترز " قدرة ابناء البيئة على تأويل ثقافتهم، في كتابه " تأويل الثقافات " وقد تناول القاص " عبد الأمير المجر " تكرارا في مجاميعه القصصية السابقة معاناة الإنسان العراقي الربي والمهمش وصراعه المستمر مع القدر والبيئة والسلطات الحاكمة.
- 2- ولجنس القصص بيئته الخاصة هو الآخر فحيث يلعب الشكل مقابل المضمون مباراة حاسمة كما تصرّح بذلك " سوزان سونتاغ " في كتابها " ضد التأويل يحدث التكامل بين الحكاية بوصفها قيمة فنية وبين المعنى الاجتماعي بوصفه اثرا للتلقي.
- 3- استثمر النص طرائق متعددة لأسلحة المضمون القصصي منها الفانتازيا أو العجائبية في قصتي " ولادات غريبة " و " صرائر " واستثمر الحكاية الشعبية بما فيها حكايا السحرة والمشعوذين واستثمر المحاكاة الساخرة للقصص الديني.
- 4- تظهر شخصية الشيخ في أغلب قصص المجموعة مع تعدد الأقنعة والدلالة والذي يبدو للباحث أن الشيخ تمثيل للنموذج البدئي المستوطن في لاوعي سارد القصص كما ورد في نظرية العالم النفسي " كارل يونغ " عن اللاوعي الجمعي للأعراق والأمم الذي يعيد تمثيل رموز وصور وهيئات من الماضي.
- 5- في قصة " عباءة بلاسخرت " هنالك استعادة تصويرية رومانسية للموروث العراقي المتمثل في العبادة الشعبية التي يرتديها النساء وقد كانت العبادة مهيمنة أسلوبية ووظيفية في كتابة القاص لسيرة من وحي خيال القاص لمتمثلة الأمم المتحدة أما قصة " الأرض الخضراء " فيؤكد فيها القاص على أهمية اللغة وأثرها الفاعل في نشوء الأعراق والحضارات كونها تأخي بين الوعي والذاكرة والمتخيل ضمن فضاء الخطاب التمثيلي المؤثر في المتلقي، فالأعراق بالنتيجة ما هي إلا قصة تروى عبر الزمن بوساطة اللغة.

المراجع:

- بنكراد ، سعيد. (2003). *سيمولوجية الشخصيات السردية رواية الشرع والعاصفة لحنا مينا /نموذجاً* . الاردن، عمان، ط1 : ، دار مجدلوي،.
- سونتاغ ، سوزان. (2008). *ضد التأويل ومقالات أخرى* ، تر: نهلة بيضون . ، بيروت، ط1:، مركز دراسات الوحدة العربية.
- طومسون ، سي جي اس. (2022). *خفايا السحر واسرارها*، ت محمد حسن علاوي، مندر كاظم حسين. بغداد، ط1 : ، دار المأمون للترجمة والنشر،.
- غيرتر ، كليفورد. (2009). *تأويل الثقافات*، تر: محمد بدوي،. بيروت، ط: ، مركز دراسات الوحدة العربية.

- فوج ، اجنر . (2005). الانتخاب الثقافي، تر: شوقي جلال، . مصر، ط1، : المشروع القومي للترجمة،.
كليوسف ، انتونلي. (د.ت). الانسان بين العلم والاسطورة، شجرة النسب والتاريخ الجيني للانسان، تر: عبد الله أحمد، . دمشق،
ط1،: منشورات دار كنعان ،.
المجر، عبد الأمير (2021). مجموعة أعراق ، . العراق: منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، ط1 .
مكاريك ، ايرنار . (2014). موسوعة نظرية الأدب، تر: حسن البنا عز الدين. . القاهرة: المشروع القومي للترجمة.
يونغ ، كارل. (د.ت). الانسان ورموزه، تر: سمير عاي. ، بغداد: ، دار الشؤون الثقافية العامة.

the reviewer:

- Aigner Fogg. (2005). Cultural Selection, Trans: Shawqi Jalal. Egypt, 1st edition: The National Translation Project.
Anthony Cleosif. (d.t.). Man between science and myth, the genealogical tree and the genetic history of man, see: Abdullah Ahmed. Damascus, 1st edition: Dar Kanaan Publications.
Ernar McCarrick. (2014). Encyclopedia of Literary Theory, see: Hassan al-Banna Ezz al-Din. . Cairo: The National Translation Project.
Said Benkrad. (2003). The semiology of narrative characters in Hanna Mina's novel The Sail and the Storm is an example. Jordan, Amman, 1st edition: Majdalawi Publishing House.
Susan Sontag. (2008). Against Interpretation and Other Essays, by: Nahla Baydoun. Beirut, 1st edition: Center for Arab Unity Studies.
CGS Thompson. (2022). The Mysteries and Secrets of Magic, by Muhammad Hassan Allawi, Munther Kazem Hussein. Baghdad, 1st edition: Dar Al-Ma'mun for Translation and Publishing.
Abdul Amir Hungary,. (2021). Race group. Iraq: Publications of the General Union of Writers and Authors in Iraq, 1st edition.
Carl Jung. (d.t.). Man and his symbols, see: Samir Ai. Baghdad: House of General Cultural Affairs.
Clifford Gerter. (2009). Interpretation of Cultures, see: Muhammad Badawi,. Beirut, ed.: Center for Arab Unity Studies.